

الوحدة التاسعة

الأحزاب السياسية وموقف الإسلام منها

أهداف الوحدة

عزيزي الدراس يتوقع منك عند نهاية دراسة هذه الوحدة تحقيق الأهداف الآتية:-

- ١ - التعرف على الأحزاب السياسية وأثرها في سياسة الدول.
- ٢ - التعرف على أنواع الأحزاب السياسية وتوجهاتها.
- ٣ - فهم موقف الإسلام من الأحزاب السياسية.

تعريف الأحزاب السياسية

تعريف الحزب في اللغة:

الحِزْبُ في اللغة: جماعةُ الناسِ، والجمع: أَحْزَابٌ، والأَحْزَابُ جُنُودُ الكُفَّارِ تَأَلَّبُوا وتظاهروا على حِزْبِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، وهم قريش وغطفان وبنو قريظة، قال تعالى: {يا قوم إني أخاف عليكم مثلَ يومِ الأحزابِ} [غافر:30]، ههنا قوم نوح وعاد وثمود ومن أهلك بعدهم. وحِزْبُ الرجل أَصْحَابُهُ وجُنْدُهُ الذين على رأيه، والمُنافِقُونَ والكافِرُونَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، وكل قوم تَشَاكَلَتْ قُلُوبُهُمْ وأَعْمَلُهُمْ فهم أَحْزَابٌ، وحِزْبُهُ أَمْرٌ أَيْ أَصَابَهُ (١).

تعريف الحزب في الاصطلاح:

الحزب السياسي هو منظمة سياسية تضم مجموعة من الأفراد الذين يتفقون فيما بينهم على الأسس العامة التي يجب أن تتبع في تنظيم الدولة، ويسعون للسيطرة على الحكومة أو المشاركة فيها من أجل تطبيق هذه الأسس (٢).

وفي تعريف آخر: الحزب السياسي، هو تنظيم يسعى إلى بلوغ السلطة السياسية داخل الحكومة، وعادة من خلال المشاركة في الحملات الانتخابية؛ والأحزاب السياسية تمارس الديمقراطية في داخلها من خلال انتخاب أعضائها في أمانات الحزب المختلفة وصولاً إلى انتخاب رئيس الحزب، وترشيح أعضاء ينتمون للحزب لخوض الانتخابات (٣).

دلالة الحزب والأحزاب في القرآن والسنة

لقد وردت كلمة (حزب) في مواضع عدة من كتاب الله سبحانه وتعالى هي: قوله سبحانه: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة:56]. وقوله سبحانه: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون:53]. وقوله سبحانه: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:32]. وقوله سبحانه: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة:19]. وقوله سبحانه: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:22].

(١)، لسان العرب ، ابن منظور مادة [حزب].

(٢) مبادئ علم السياسة ، نظام بركات وآخرون، ص 224.

(٣) ينظر: موقع ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية.

وفي معنى الحزب في هذه الآيات قال ابن كثير رحمه الله : حزبُ الله، أي: عباد الله وأهل كرامته^(١)، وقال القرطبي : قال الحسن : حزب الله جند الله. وقال غيره : أنصار الله^(٢). وأما في معنى (حزب الشيطان) فقد قال القرطبي : هم طائفته ورهطه^(٣).

وأما (الأحزاب بصيغة الجمع فقد وردت في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم، ومنها قوله سبحانه وتعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هود: 17]. وقوله سبحانه: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} [الرعد: 36].

وقوله سبحانه: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [مریم: 37]. وقوله سبحانه: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 22].

وقوله سبحانه: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ} [ص: 11، 12].

فهذه الآيات وأمثالها في القرآن الكريم نجد أن الأحزاب فيها جاءت في سياق الذم لهم والوعيد على صنيعهم، ففي آية هود نجد أن الأحزاب هنا جاءت للتعبير عن أولئك المكذبين بما أنزل الله سبحانه وتعالى من كتاب، أو أنكر بعضه كما في آية الرعد.

ودلت آية مریم على وصف الأحزاب بالقوم المختلفين غير المتفقين، وفي هذه الآية إشارة إلى من طبيعة الأحزاب الاختلاف وعدم الاتفاق.

ودلت الكلمة في آية سورة الأحزاب على القوم المجتمعين لصد الحق ومحاربة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن معه من المؤمنين في غزوة الأحزاب المعروفة. كما دلت آية سورة ص على أن الأحزاب هم أولئك الأقوام الذين كذبوا أنبياء الله سبحانه وتعالى وحاربوهم وعادوهم.

وأما في السنة النبوية فقد وردت كلمة الحزب والأحزاب في أحاديث متفرقة، فمنها قوله (صلى الله عليه وسلم) : (طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ)^(٤)، وقد حَزَنْتُ الْقُرْآنَ :

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة 55/8.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري 222/6.

(٣) المرجع السابق 306/17.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث رقم 599.

جَعَلْتُهُ أَحْزَابًا، وفي حَدِيثِ أُوسِ بْنِ حُدَيْفَةَ (سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ تُحْزَبُونَ الْقُرْآنَ ؟)^(١). ومعنى الحزب في هذه الأحاديث هو القدر من القرآن، أو هو صلاة الليل. وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعِ الْحِسَابِ اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ). والمراد بالأحزاب في هذا الحديث هم القوم الذين اجتمعوا على حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

إذاً باستعراض الآيات والأحاديث التي وردت فيها كلمة الحزب والأحزاب في القرآن وفي السنة النبوية لم نجد أنها تدل على المعنى السياسي للأحزاب في العصر الحاضر.

نشأة الأحزاب السياسية المعاصرة

لم تنشأ الأحزاب نشأة واحدة، بل نشأت بأشكال ولأسباب مختلفة، أهمها خمسة : -

1- ارتباط ظهور الأحزاب السياسية بالبرلمانات، ووظائفها في النظم السياسية المختلفة. إذ إنه مع وجود البرلمانات ظهرت الكتل النيابية، التي كانت النواة لبزوغ الأحزاب، حيث أصبح هناك تعاون بين أعضاء البرلمانات المتشابهين في الأفكار والإيديولوجيات أو المصالح، ومع مرور الوقت تلمس هؤلاء حتمية العمل المشترك. وقد ازداد هذا الإدراك مع تعاظم دور البرلمانات في النظم السياسية، إلى الحد الذي بدأ نشاط تلك الكتل البرلمانية يظهر خارج البرلمانات من أجل التأثير في الرأي العام، كما حدث في العديد من الأحزاب الأوروبية، وفي العالم النامي توجد حالة حزب الحرية والائتلاف العثماني الذي كان في الأصل مجرد كتلة للنواب العرب في البرلمان التركي عام 1911.

2- ارتباط ظهور الأحزاب السياسية بالتجارب الانتخابية في العديد من بلدان العالم، وهي التجارب التي بدأت مع سيادة مبدأ الاقتراع العام. حيث ظهرت الكتل التصويتية مع ظهور اللجان الانتخابية، التي تشكل في كل منطقة من المناطق الانتخابية بغرض الدعاية للمرشحين الذين أصبحوا آلياً يتعاونون لمجرد الاتحاد في الفكر والهدف. وقد اختفت تلك الكتل -بداية- مع انتهاء الانتخابات، لكنها سرعان ما استمرت بعد الانتخابات وأسفرت عن أحزاب سياسية تتألف من مجموعات من الأشخاص متحدي الفكر والرأي. أي أن بداية التواجد هنا كان خارج البرلمان، ثم أصبح الحزب يتواجد داخله. وكانت تلك الأحزاب قد سعت إلى تكوين هياكل تنظيمية دائمة لكسب الأعضاء، ومراقبة عمل البرلمان والسلطة التنفيذية.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم 1393.

3 - ظهور منظمات الشباب والجمعيات الفكرية والهيئات الدينية والنقابات، و قد سعى بعض هذه المؤسسات لتنظيم نفسها بشكل أكبر من كونها جماعات مصالح تحقق الخدمة لأعضائها. ولعل أبرز الأمثلة على ذلك حزب العمال البريطاني، الذي نشأ بداية في كنف نقابات العمال بالتعاون مع الجمعية الغابية الفكرية. وكذلك الحال بالنسبة لأحزاب الفلاحين وخاصة في بعض الدول الاسكندنافية، حيث كان أصل نشأتها الجمعيات الفلاحية. إضافة إلى ذلك فقد كان أساس نشأة بعض الأحزاب المسيحية في أوروبا هو الجمعيات المسيحية. أما في أمريكا اللاتينية، فإنه لا يوجد أي أساس للنشأة البرلمانية للأحزاب السياسية. ولذلك فإن البحث في أصول الأحزاب هناك يركز على التحليل الاجتماعي والاقتصادي لأوضاع هذه البلدان بعد جلاء الاستعمار، وبما يعكس مصالح كبار الملاك والعسكريين والكنيسة، وكانت تلك هي اللبنة الأولى لظهور الرعيل الأول من الأحزاب السياسية هناك.

4 - ارتباط نشأة الأحزاب السياسية (في بعض الأحيان وليس دائماً) بوجود أزمات التنمية السياسية. فأزمات مثل الشرعية والمشاركة والاندماج أدت إلى نشأة العديد من الأحزاب السياسية. ومن الأحزاب التي نشأت بموجب أزمة الشرعية، وما تبعها من أزمة مشاركة، الأحزاب السياسية الفرنسية التي نشأت إبان الحكم الملكي في أواخر القرن الـ18، وخلال الحكم الاستعماري الفرنسي في خمسينات القرن الماضي. وبالنسبة لأزمة التكامل، فقد أوجدت في كثير من الأحيان أحزاباً قومية، وفي هذا الصدد يشار على سبيل المثال إلى بعض الأحزاب الألمانية والإيطالية، إضافة لبعض الأحزاب العربية التي جعلت من الوحدة العربية والفكرة القومية هدفاً لها.

5- ظهور الأحزاب السياسية كنتيجة لقيام بعض الجماعات لتنظيم نفسها لمواجهة الاستعمار والتحرر من نير الاحتلال الأجنبي، وهو الأمر الذي يمكن تلمسه على وجه الخصوص في الجيل الأول من الأحزاب السياسية التي ظهرت في بعض بلدان العالم العربي وأفريقيا.

على هذا الأساس، بدأت نشأة الأحزاب السياسية بشكل أولي منذ نحو قرنين من الزمان، ولكنها لم تتطور وتلعب دوراً مهماً إلا منذ حوالي قرن. وقد تباينت أسباب ودواعي النشأة. لكن الأحزاب بشكل عام كانت إحدى أهم آليات المشاركة السياسية، ومن أهم أدوات التنشئة السياسية في المجتمعات، بالرغم مما قيل عنها في بداية النشأة من أنها ستكون أداة للانقسام والفساد السياسي، وأنها ستفتح الباب عملياً أمام التدخل الأجنبي، وستكون مصدراً لعدم الاستقرار السياسي وانعدام الكفاءة الإدارية، وذلك كله على حد تعبير جورج واشنطن مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية.^(١)

(١) انظر: الأحزاب السياسية (نشأتها-مهامها-تصنيفها-وظائفها) ص2، 3: www.eaddla.org/nashat%20sias.doc

وسائل عمل الأحزاب السياسية

توظف الأحزاب السياسية جملة من الوسائل بغية تحقيق أهدافها؛ بيد أن هذه الوسائل تختلف تبعا لتقدم الدول وتجارها في الممارسة الديمقراطية أو تخلفها عن ذلك؛ ويمكن رصد هذه الوسائل على النحو التالي:

الفرع الأول: الوسائل السياسية:

- ١- المشاركة في تمثيل الحزب داخل المؤسسات التمثيلية من خلال طرح أسماء المرشحين لشغل مقاعدها وتهيئة البعض الآخر منهم لتقلد المناصب الوزارية والادارية.
- ٢- المشاركة في المداولات والمناقشات السياسية مع ممثلي السلطات وممثلي الأحزاب لبيان وجهة نظر الحزب في القضايا الوطنية والدولية.
- ٣- تنظيم التظاهرات السياسية.
- ٤- إثارة شعور الأفراد والجماعات لكسب التأييد الشعبي من خلال عقد الندوات والمؤتمرات السياسية.

الفرع الثاني: الوسائل المالية

- 1- الحصول على الأموال والمساعدات التي تساعد الحزب على تغطية نفقاته من خلال التنظيم الاشتراك المالي لأعضائه، أو تقديم التبرعات المادية أو العينية في الحملات الانتخابية.
- 2- استثمار أموال الحزب في الحملات الانتخابية.

الفرع الثالث: الوسائل الإعلامية

- ١- إصدار الصحف والدوريات والمطبوعات التي تمثل وجهة نظر الحزب في كل القضايا السياسية؛ الاقتصادية والاجتماعية
- ٢- معالجة الحرب النفسية والاعلام المضاد من قبل الأحزاب الأخرى؛ وذلك بالرد عليها عبر البيانات أو المطبوعات.
- ٣- تنظيم الدورات و اللقاءات والندوات التي تعالج القضايا.
- ٤- توضيح وجهة نظر الحزب من خلال وسائل الإعلام المرئية؛ المقروءة والمسموعة خصوصا في أوقات الحملة الانتخابية؛ ويمكن للأحزاب السياسية أن تتلقى عروضاً مجانية لهذا الغرض من قبل الدولة كما يمكنها شراء الوقت اللازم من قبل الإذاعات والقنوات الفضائية والصحف مثلما

يحق لها امتلاك مؤسسات إذاعية وتلفزيونية خاصة به فضلاً عن الصحف والدوريات وتسخيرها لخدمة أهداف الحزب وأعضائه^(١).

أنواع الأحزاب:

تعددت التصنيفات بشأن تعدد الأحزاب السياسية حسب اختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها كل باحث، ومن تلك التصنيفات ما يلي :

أولاً: أحزاب عقائدية دينية ولا دينية، مثل الأحزاب الإسلامية، والأحزاب الشيوعية، والأحزاب العلمانية، والأحزاب الفاشية^(٢)، وغيرها.

ثانياً: أحزاب البرامج، وهذا النوع يتميز عن غيره بتمسكه ببرامج مميزة ومحددة، وباختلاف أيديولوجيته اختلافًا واضحاً عن أيديولوجيات النظم الأحزاب الأخرى، كما أن حزب البرنامج يصير دائماً على أن أهم شروط استمرار عضويته، تمسك العضو بمبادئ الحزب، وعدم جواز انفصاله عن الحزب إلا في حالة تخلي القيادة عن مبادئ الحزب.

ثالثاً: أحزاب الأشخاص، وهي من مسماتها ترتبط بشخص أو زعيم، فالزعيم هو الذي ينشئ الحزب ويقوده ويحدد مساره ويغير هذا المسار، دون خشية من نقص ولاء بعض الأعضاء له. وهذا الانتماء للزعيم مرده لقدرته الكاريزمية، أو الطابع القبلي أو الطبقي الذي يمثله الزعيم، وتظهر تلك الأحزاب في بعض بلدان الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، حيث انتشار البيئة القبلية، وتدني مستوى التعليم^(٣).

التعددية الحزبية والنظم السياسية:

تختلف النظم السياسية فيما بينها بشأن وجود الأحزاب وفعاليتها بين الكثرة والقلّة، وبين الفاعلية من عدمها، وبين التنافس وعدم التنافس، ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين هما:

(١) انظر : الأحزاب والنقابات وهيئات المجتمع المدني علاقات تقاطع أم تكامل، محمد زين الدين،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=95709>

(٢) الفاشية: مصطلح يطلق على الأيديولوجيات، والحركات السياسية، وأنظمة الدول التي تتخذ موقفاً متطرفاً وتنجح إلى التسلط والعسكرة، كالحزب الفاشي الإيطالي، والحزب النازي الألماني.

(٣) انظر: التعددية الحزبية في ظل الدولة الإسلامية ، علي جابر العبد الشارود، ص 103 وما بعدها.

القسم الأول: النظم الحزبية التنافسية:

ويندرج تحت هذا القسم عدد من النظم الحزبية، هي:

أولاً: نظام الحزب الواحد: وفي هذا النظام توجد أحزاب سياسية كثيرة، وهي أحزاب منافسة للحزب الغالب أو المهيمن أو المسيطر، لكن منافستها له هي منافسة نظرية، ويُعد هذا النموذج من النماذج الأساسية للأحزاب السياسية في النظم التعددية في البلدان النامية، وإن ظهرت في دول ديمقراطية - بغض النظر عن درجة نموها الاقتصادي - مثل اليابان والهند عقب الحرب العالمية الثانية، وفي سبعينيات القرن الماضي.

ثانياً: نظام الحزبين: تبرز الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كنموذجين بارزين ضمن هذا التصنيف، وفي هذا النظام يوجد عدد كبير من الأحزاب، إلا أن الحزبين الكبيرين يتبادلان موقع السلطة في النظام السياسي، ويوجد قدر كبير من التنافس بين الحزبين للحصول على الأغلبية.

ثالثاً: نظام الأحزاب المتعددة: وينقسم هذا النظام بوجود عدة أحزاب متفاوتة في تأثيرها، مما يؤدي إلى استقطاب حزبي ينعكس على الرأي العام (حالة إيطاليا - ألمانيا - بلجيكا - هولندا - النرويج - الدانمارك).

القسم الثاني: النظم الحزبية اللا تنافسية:

يتصف النظام الحزبي باللاتنافسية مع انتفاء أي منافسة ولو نظرية بين أحزاب سياسية، إما لوجود حزب واحد، أو لوجود حزب واحد إلى جانب أحزاب شكلية تخضع لقيادته في إطار " جبهة وطنية " ليس مسموحاً لأي منها بالاستبدال عنها، وقد اكتسب تصنيف الحزب الواحد أهميته منذ الثورة البلشفية في روسيا عام 1917م، حيث أقامت تلك الثورة حزباً ملهماً للعمال ليس فقط في الاتحاد السوفيتي، بل في كل ربوع أوروبا الشرقية فيما بعد. ورغم أن هذا المفهوم سار في تلك البلدان في مواجهة الأحزاب الرأسمالية، إلا أنه ظهر في بلدان العالم الثالث، كمفهوم موحد لفئات المجتمع المختلفة، و بهدف الحد من الصراع الاجتماعي^(١).

موقف الإسلام من الأحزاب:

إن موقف الإسلام من الأحزاب السياسية يختلف باختلاف صور تلك الأحزاب وطبيعة عملها، فلا بد من التعرف على تلك الصور المختلفة وبيان الحكم من خلالها، على النحو التالي:-

(١) الأحزاب السياسية (نشأتها- مهامها- تصنيفها- وظائفها) ص 5- 7. www.eaddla.org/nashat%20sias.doc

الصورة الأولى: الأحزاب المنافسة التي تسعى للسلطة أو المشاركة فيها على منهج يخالف كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وفي هذه الحال فإن الإسلام يعارض هذا المبدأ معارضة تامة، فلا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله لقوله سبحانه: {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]، والحكم لله سبحانه وتعالى وحده لا للأحزاب، {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [سورة يوسف: 40].

الصورة الثانية: الأحزاب السياسية التي تتبنى المعارضة للسلطة القائمة في الدولة، وهذا النوع أيضاً مما يأباه الشرع ويحاربه، لأن مبدأ السلطة في الإسلام يقوم على الطاعة لولي الأمر بغير معصية الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59]، وفي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)^(١). ومن شأن الأحزاب السياسية المعارضة في كثير من النظم السياسية، تفريق الصف وتمزيق الأمة، والشرع المطهر جاء بالأمر بالوحدة والنهي عن الفرقة: {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...} [آل عمران: 103].

والأصل في الأمة الإسلامية أن تكون حزباً واحداً على الحق، أما تعدد الأحزاب الذي يؤدي إلى الفرقة والاختلاف فهو مذموم، ويمكن الاستدلال على عدم جواز التعددية الحزبية السياسية في الإسلام بعدد من الأدلة من القرآن والسنة والعقل، على النحو التالي :

أولاً: القرآن الكريم:

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: 159].

وقال الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم: 31، 32].

ووجه الدلالة من هاتين الآيتين صريح في النهي عن الفرقة، وأنها ليست من صفات المؤمنين، بل هي من صفات المشركين، وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بريء من المقتربين لها، ولا علاقة له بهم أبداً، وتعدد الأحزاب السياسية في الدولة وبخاصة التنافسية هي من دواعي الفرقة بين الناس.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم 4724.

والاختلاف والافتراق في الآيتين يراد به الاختلاف في العقيدة والشرعية، وكذلك افتراق الأمة إلى جماعات وأحزاب سياسية، وهذا الذي تقتضيه النصوص، فقد نهي الله تعالى عن مطلق التنازع، وجعله سبباً لضعف المسلمين وذهاب شوكتهم: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: 46]، وبهذا تكون التعددية الحزبية السياسية غير جائزة؛ لأن نتيجتها التفرق والاختلاف.

وقال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا} [القصص: 4]. ووجه الدلالة من هذه الآية أن الانقسام إلى أحزاب يؤدي إلى فقدان القوة، مما يؤدي بدوره إلى تعريض الناس للاستعباد، وهذه السنة استغلها فرعون في تفريق قومه إلى شيع حتى يتسنى له استعبادهم وإذلالهم. وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} [آل عمران: 103]. وقال سبحانه: {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 105]. ووجه الدلالة أن الله سبحانه وتعالى أوجب على المسلمين لزوم الجماعة، واجتناب كل ما يؤدي إلى الافتراق؛ والحزبية مظنة الفرقة، بل مئنة لها، وللبغضاء بين أهل الإسلام.

وقال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65]. وجه الدلالة من هذه الآية أن التفرق إلى شيع وما يؤدي إليه ذلك من اقتتال وردة، وإن ما يؤدي إليه الانشقاق، يعتبر عذاباً من الله سبحانه وتعالى يعذب به مستحقه، وإن الواجب الحذر من هذا العذاب والبعد عن أسبابه.

ثانياً: السنة:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهليّة. ومن قاتل تحت راية عميّة، يغضب لغضب، أو يدعو إلى غضب، أو ينصر غضباً، فقتل، فقتله جاهليّة. ومن خرج على أمّتي، يضرب برّها وفاجرها. ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفني لذي عهدٍ عهدُهُ، فليس مني ولست منه)^(١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم 1848.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَيْئاً.. إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)^(١).

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: خطبنا عمر (رضي الله عنه) بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فينا، فقال: (... عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ)^(٢).

في هذه الأحاديث أمر صريح بلزوم الجماعة، وتوعد صريح للمفارق للجماعة، ووصف ميته بالجاهلية، وذم العصية والدعوة إليها ونصرتها، والتوعد والذم لا يكون إلا على فعل محرم، أو ترك واجب، فتكون الأحزاب السياسية غير جائزة؛ لأنها تقوم على أساس العصية ومفارقة الجماعة.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيَّةٌ) (٣).

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)^(٤).

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوجب على المسلمين طاعة أميرهم، ولو على كره وغضاضة، ولم يسمح لهم بمعصيته إلا إذا أمر بمعصية الله، ومن المعلوم أن التعددية السياسية قائمة على التنافس في طلب الولاية، فالسعي إلى الحكم هو مفرق الطرق بين الأحزاب السياسية، وبين غيرها من التكتلات البشرية الأخرى، فأني تتحقق المشروعية لهذا النظام مع قيامه ابتداءً على مناقضة هذه النصوص.^(٥)

ثالثاً: العقل

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، حديث 1849.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب لزوم الجماعة، حديث رقم 2165.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، حديث رقم 661.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، حديث رقم 1851.

(٥) انظر: التعددية الحزبية السياسية في ظل الدولة الإسلامية وأنظمة الحكم المعاصرة، موقع المركز الفلسطيني للإعلام

<http://www.palestine-info.com/arabic/books/2006/musheer/mush10.htm>

1. إن قضية الأحزاب السياسية متولدة من النظام الجمهوري أو الديمقراطي، الذي ساد العالم في ظل العلمانية، فهي جزء من ذلك النظام وفرع من فروعه، ولا يجوز اعتماده ولا تطبيقه في دولة الإسلام.
2. لم يسبق في تاريخ الإسلام على مدى القرون الطويلة من خلافة رسالة الإسلام سابقة واحدة من هذا القبيل، فكان ذلك كالإجماع من الأمة على تركه، وإن انشقاق الفرق عن جماعة المسلمين هي ظواهر مرضية اعترت الجسم الإسلامي في فترة من الفترات، فارق بها أصحابها سبيل المؤمنين بما تحزبوا عليه من الأصول البدعية، أو شقوا عصاهم بما أحدثوه في الأمة من منازعة الأئمة، والخروج عليهم، وكلا الموقفين ممقوت ومردود.
3. جعل الإسلام الأخوة الإسلامية هي أساس الولاء والبراء، فالمسلم ولي المسلم سواء أعرفه أم لم يعرفه، وهذا يعني أن الإسلام لا يتحمل في داخله تنظيماً آخر بحيث تكون أسس ذلك التنظيم وقواعده أساساً للولاء؛ لأن هذا النوع من التنظيم يقتضي أن من انتظم فيه يستحق العون والنصرة والإخاء وغيرها من الحقوق، ومن لا ينتظم فيه لا يستحق تلك الحقوق، مع أن الإسلام أعطى المسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلماً لا لسبب آخر.
4. إن التعددية الحزبية تقتضي التزام الفرد برأي الحزب المنتمي إليه، سواء أكان ذلك الرأي خطأ أم صواباً.^(١)

الصورة الثالثة: أن تكون الأحزاب غير متنافسة على السلطة بل متعاونة متألّفة تشارك في السلطة، وتسعى للمصلحة العامة تعاوناً على البر والتقوى، وهذا النوع من الأحزاب هو الذي يؤيده الشرع من باب قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2].

مراجع للاستزادة

- ١ - التعددية الحزبية في ظل الدولة الإسلامية، علي جابر العبد الشارود.
- ٢ - التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي الحديث، ديندار شفيق الدوسكي.
- ٣ - الأحزاب السياسية (نشأتها-مهامها-تصنيفها-وظائفها) www.eaddla.org/nashat%20sias.doc

(١) انظر المرجع السابق.